صدى الحرية

أسبوعية ثورية اجتماعية
توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات :

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 85 | السبت 8 تشرين الثاني 2014

معارك الشيخ مسكين

الثورة تخلق الطغاة

توسل الرضا

الاعتلاف الفندقي

خطوط ثورية حمراء

العلمانيون الجبناء

الكهرباء ماذا تخفي

الثورة تخلق الطغاة

كما ولّدت الثورة رجالاً شرفاء أفرزت نماذج تفاوتت في السوء، فلقد استقطبت الثورة إليها توجهات عديدة فتفاوتت الأهداف وتقاطعت المصالح أو تناقضت وربما تغلّبت الأطماع الشخصية فساهمت في إطالة بقاء النظام، وخسارة جزء من الحاضنة الشعبية، وفي مرحلةٍ ما تعمد الثوار تجاوز السلبيات وعدم الحديث عنها إعلامياً لتفويت الفرصة على الإعلام الموالي واستغلال ما يحدث، لتجييره لصالح بث سمومه، إضافةً لإبقاء الصورة المثالية للثورة قابعة في الأذهان، فكان الخطأ أن سكتنا عن تجاوزات البيت الداخلي حتى تمادى الباطل، على أن قرار بعض الفصائل ليس بيدها أسهم في المزيد من الشرخ بين الشارع والثورة فكانت أية تحركات لا يمكن أن تتم من غير موافقة تلك الجهات، ولعل التغاضي عن الأخطاء كان نتيجة ضغطٍ يمارس في هذا الاتجاه، «جمال معروف» نموذج وثمرة طبيعية ساهمنا في صناعتها كما أنتجنا غيرها في مناطق شتى من سورية، والقضية ما عادت ترتبط بشخصٍ بعينه بل بفكرة الثورة بحد ذاتها وإمكانية استمرارها وجذب مزيدٍ من التأييد لها، أو التوجه للتفكير في جدواها وما خلفت وراءها من أثر، ومقارنته مع ما يمكن بلوغه في المستقبل إذا ما أدرناها من جديد وبالشكل الصحيح أحسنا التعامل مع ما تفرزه من مستجدات.

خسارة الحاضنة الشعبية أو جزء منها ما هو إلا محصلة لعوامل تضافرت فخلقت الفساد وقيادته وفتحت الباب أمام بعض المتنفّذين وأصحاب المصالح، وما كان لذلك أن يتوسع لو وجدنا آلية حقيقية لمحاسبة المخطئ، ومحاربة المفسدين، إذ إن فكرة الثورة أساساً قامت للدفاع عن المظلومين لا للتكسب وتوزيع المناصب على الأقارب والصحب كما يحصل اليوم.

إن تجاهل الأخطاء والسكوت عنها والركون إلى نظرية المؤامرة لتبرير الواقع الأليم، من أفدح المصائب التي بلينا بها، لأن الأخطاء مشتركة بين الجميع، ولا يجدر أن نكون شهوداً على جريمة نكراء ترتكب في حق الأمة فتشوه عقيدتها وتاريخها وجهادها، البعض تجاوز في خطئه جميع الخطوط الحمراء، لكن الآخرين لم يكونوا في منأى في يوم من الأيام عن المشاركة أو الموافقة أو الممالأة على هذه الأخطاء، لذلك كان السعي إلى محاصرة الأخطاء وإغلاق أبواب الشيطان من أوجب الواجبات، والصواب في معاملة الذين يحاولون خرق سفينة الأمة، هو اللجوء إلى مدافعتهم والضغط عليهم بكافة الوسائل لردهم إلى جادة الصواب، فإن لم يجد ذلك نفعاً، فالسيف أولى بردهم وردعهم، كل جهة من العاملين للثورة بل في الدنيا كلها، تملك نسبة من الحق، ولا يمكن لأحد منها أن يدعي الحق والصواب المطلق، وليس من العدل والإنصاف أن نرمي أياً منها بالضلال المطلق، والمهمة الصعبة هي التصويب والتقريب والتنبيه وإضاءة الطريق، المقياس الوحيد في النصح هو شريعة الإسلام، شعارنا في ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)).

إلى ذلك تعاود المدينة لتشهد تجربة مكررة راح ضحيتها شابة أردتها رصاصة "فرح" بخروج قريب لها من المعتقل، ليتحول معها الفرح إلى مأساةٍ تضاف إلى مآسي نعيشها يومياً، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار)).

بينما يشتد برد الشتاء على المدينة وغلاء الوقود إن توفر، ناهيكم عن الانقطاع الطويل والمتعمد للكهرباء، يلجأ البعض إلى تحويل الأخشاب من أداة لبث الدفء إلى تجارة فيستبيحون الأشجار مع قلتها وبطريقة عشوائية همهم الأكبر الإثراء السريع، ومص ما تبقى من دماء الناس لجيبه الخاص.

الاعتلاف الفندقي والمرابطون

من خلال مراقبتنا لما جرى على صعيد الثورة السورية منذ شهر أيلول سنة 2012 نجد أن قوات المعارضة السورية كانت تتقدم بسرعة نحو الإطباق على العاصمة دمشق وقطعت طريق مطارها الدولي، وظهر للعيان أن معركة دمشق الفاصلة باتت على الأبواب، فجأة انقطع الدعم الأمريكي والدعم العسكري العربي عن فصائل المعارضة الفاعلة على الأرض، وانقلب الوضع خلال أشهر قصيرة فحاصر النظام غوطتي دمشق، ثم استخدم النظام الأسلحة الكيميائية بعد نحو سنة من ذلك التاريخ في الغوطة الشرقية ومعضمية الشام وغيرهما من المناطق القريبة من دمشق، وأدان العالم تلك الجريمة في صورة مسرحية هزلية لم تفضِ عن معاقبة النظام، ومقولة الخط الأحمر التي خرج بها أوباما باتت معروفة، ثمّ مُنِعَت المعارضة السورية من الحصول على جميع أنواع الدعم المجدية، باستثناء ما يصلها تهريباً ولا يسد جزءاً يسيراً من حاجتها للدفاع عن نفسها فقط، أضف إلى ذلك مسرحية تسليم سلاح النظام الكيماوي التي لعبها الغرب وكانت طوق النجاة لفضيحة أوباما في تخاذله عن نصرة الثورة السورية، وأهمّ بنود تلك المسرحية غير المكتوبة كان الإبقاء على النظام حتى ينتهي ملف الكيماوي مع السماح له باستغلال المهلة لتعزيز مواقعه العسكرية، وقد شهدت تلك المدة مشاركة مكثفة من حلفاء النظام من الميليشيات العراقية واللبنانية بغية تحقيق هذا الهدف، وهذا ما أدى إلى سيطرتهم على مدن ذات طابع استراتيجي للمعارضة. وحدث ذلك من دون أدنى اعتراض دولي، مع أن الجناح العسكري لحزب الله كان مصنفاً بوصفه منظمة إرهابية لدى الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وبعض الدول العربية. رغم ذلك تركوه يعيث في الشام فساداً، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن النظام من استعادة سيطرته على مناطق المعارضة كلها حين وعد الغرب بأنه سيقلب موازين القوى لصالحه خلال مدة قصيرة، ورغم كل التغاضي الغربي عن جرائمه لم يستطع أن يبسط سيطرته الكاملة على المناطق القريبة من دمشق، وفي مقابل المناطق التي استعادها النظام كانت قواته تنهزم في مناطق أخرى، وعلى الرغم من تلك ثبات قدم المعارضة التي تحالفت عليها كل الدنيا نجد أوباما يغمز من قناة مقاتلي المعارضة حين قال في الشهر السادس من هذا العام بأنه لا يمكن لمزارعين أن ينتصروا على الأسد، قول أوباما هذا يعدّ في اللغة السياسية طلقة موجهة مباشرةً إلى المعارضة، وإشارة إلى النظام مفادها أن في وسعه الانقضاض على المعارضة. وفي خضم التطورات السابقة كلها، أتى تقدم تنظيم الدولة ليشكل أكبر تهديد محتمل لنظام الأسد بعد معركة مطار الطبقة وفضيحة النظام الكبرى في تلك المعركة وانكشاف كذب النظام، وكذلك ما جرى من استهداف لحركة أحرار الشام ثم استهداف مواقع لكتائب إسلامية أخرى مثل جبهة النصرة وغيرها، كل ذلك دلَّ على الخيوط الخفية للعبة قذرة كنتُ قد أشرتُ إليها في مقالات سابق في صحيفة صدى الحرية موضّحاً سعي الغرب مع بعض الدول العربية إلى إعادة إنتاج النظام من خلال المزج بينه وبين قوى الائتلاف في شكل حكومة سورية تكون فيها السيادة للنظام ويأخذ فيها ما يسمى بالمعارضة المعتدلة الجالسة في فنادق الخارج مقاعد صوريّة، وإنّ أهمّ ما تمخضت عنه استراتيجية التحالف الدولي العربي الغربي ضد الثورة السورية هو ضرورة وأد الثورة في مهدها أي سورية، كي لا تنتقل العدوى إلى بقية دول الجوار (الأردن مصر الخليج)، وهذا لم يكن خافياً على أحد، وتم الاتفاق من خلال مجموعة "أصدقاء الشعب السوري" المنضوية فيه قوى الائتلاف أو الاعتلاف الفندقي على أن تنحية الأسد ليست أولوية، وعلى أن الأولوية المطلقة هي القضاء على الجماعات الجهادية ثم مشاركة النظام الحاكم في حكومة مشتركة، وهي مسألة مثيرة للسخرية حقاً بعد تضحيات الشعب السوري الكبرى. إنَّ ما فعلته الإدارة الأميركية هو تقديم حبل الإنقاذ للأسد عند كل مأزق حقيقي وقع فيه؟! وإن الذي كانت عليه "مجموعة أصدقاء الشعب السوري" ما هو إلا هيئة لإعادة إنتاج النظام، ولا حاجة إلى التخمين لمعرفة ما وراء ومن وراء ذلك، على كل حال ما يهمنا هنا هو أن نقول إن النظام قد أثبت للغرب على الرغم من كل المحاولات لإعادة نعشه أنه عصي على كل محاولات الإنقاذ، وأنّ الغرب والعرب الذين حاولوا إنقاذه قد أنفقوا فيه أموالهم من غير طائل ثم جعلها الله حسرات عليهم، وما أجور الموظفين التي تدفعها دولة الإمارات خافية علينا، ولولا أدوات التشبيح من الأنظمة المحلية والدولية لكان النظام قد سقط منذ ثلاث سنوات، لكنّ دماء السوريين ليست ثمينة إلا عند الذين فقدوها من السوريين، ويوماً ما لنا لقاء نسأل الله فيه أن ينصرنا وأن يخذل أعداءنا أجمعين وينتقم منهم بحرمة دماء أبريائنا المظلومين عند ربّ العالمين.

العلمانيون الجبناء

تصاعدت في الأيام الأخيرة موجةٌ من المواقف، والردود، والاتهامات المتبادلة على خلفية بعض ما يكتبه، وينشره من يسمون ب''المثقفين''، و''العلمانيين''، على صفحاتهم الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعي، وفي بعض الصحف، والمواقع الالكترونية الأخرى، بسبب ما يعتبره البعض، من أن تلك الآراء، والمواقف تشكل تطاولاً على المعتقدات، والرموز، والمقدسات، التي يدين بها غالبية أفراد الشعب السوري.

كان أخرها منشور وضعته السيدة "لمى الأتاسي" على صفحتها الشخصية في موقع "فيسبوك"، وتناولت فيه بالنقد واقعةً تاريخيةً غير معروفةٍ، تمس شخصية الصحابي، والقائد "خالد بن الوليد"، ما أثار حملةً من الردود المضادة، والساخرة، والعنيفة، ضد شخص تلك السيدة، ومضمون موقفها، من قبل متابعين، وبعض صفحات "فيسبوك" الأخرى، فيما انبرى لتأييدها والدفاع عن أقوالها، نشطاءٌ، وشخصياتٌ عامةٌ، كان منهم رجل الدين صاحب المواقف الملتبسة الدكتور "محمد حبش".

والواقع أن الخلاف بين ''العلمانيين'' على اختلافهم، ''مؤمنين''، و''لادينيين''، و''ملحدين''، وبين ''المتدينين''، وأنصار التيارات، والحركات الدينية، قديمٌ، وممتدٌ، وقد عرفته الكثير من الدول، والمجتمعات لا سيما الأوروبية، ابتداءً من ما قبل عصر التنوير، وحركة النهضة، المسبوقة بالحركة الإصلاحية الدينية على يد "مارتن لوثر"، و"جون كالفن"، وقد أدت جملة تطورات سياسية، ودينية، وثقافية في سياق السيرورة التاريخية، والاقتصادية، والاجتماعية الأوروبية، إلى تقرير مبادئ، كقيام الدولة على أسسٍ سياسيةٍ، وقوميةٍ، وفصل الكنيسة عن الدولة، ونشوء الجمهوريات، والممالك الدستورية، وإعلاء شعارات الحرية، والعدالة، والمواطنة.

أما في سوريا فلم توجد قبل الثورة حياة سياسية، ولا ثقافية، ولا اجتماعية، ولا دينية حقيقية، ولم يكن يوجد وضعٌ اقتصاديٌ حرٌ، أو مفهوم، فالموجود كان نظاماً سلطوياً، شمولياً، يتخذ أقنعةً قوميةً، ويساريةً، وعلمانيةً، يخفي بها استبداده، وطائفيته، ورجعيته، ويحكم بسياساته، وبأجهزة أمنه، الخناق على رقبة مجتمعٍ يعيش حالة تأخرٍ تاريخيٍ، وتخلفٍ اقتصاديٍ، ويفتقر أفراده، وجماعته، وطبقاته، وطوائفه الحد الأدنى اللازم من الإجماعات، والروابط الوطنية، فيما خضعت مؤسساته الدينية، برجالها، ومناهجها، وتوجهاتها، بشكلٍ مطلقٍ للنظام، وأصبحت جزءاً من أدوات تعزيز حضوره الداخلي، والخارجي، والسيطرة على قياد محكوميه.

بطبيعة الحال هذا لا يعني أن الأديان عموماً، لا تحوي قضايا إشكالية كثيرة، وقد حفل تاريخ أنظمة الحكم الدينية بالعديد من التقاليد، والممارسات المتنافية مع قيم الحرية، والمساواة، وحقوق الإنسان، وقد يكون لبعض تلك الممارسات أصول واردة في النصوص الدينية، وبعضها نتيجة تفسيرٍ، أو اجتهادٍ ضيقٍ، وخاصٍ بزمانٍ، وظروفٍ محددتين، وبعضها نتيجة انحرافاتٍ في الفهم، والتطبيق، مردها لاختلاف الطبائع البشرية، وحضور الرغبات السلطوية.

لكننا نحسب أن مشكلة السوريين أفراداً، ومجتمعاً، ومنذ نشوء كيانهم، لم تكن يوماً في الدين، أو معه، بقدر ما هي في السياسة، ومع النظام، وطبيعة الإدارة، والحكم.

مع اندلاع الثورة السورية حدث اختراقٌ أساسيٌ للمجال العام الذي كان مصادراً، واستعاد السوريون قدرتهم على الكلام، والتعبير.

في البداية ناضل السوريون معاً، فلم تكن المشاريع الخاصة، والفئوية قد ظهرت بعد، إلى أن حدث افتراقٌ أولٌ، أدى إلى نوعٍ من التمايز بينهم، مع بدايات ظهور السلاح، وافتراقٌ ثانٍ مع أولى محاولات جماعة ''الإخوان'' للهيمنة على الثورة، ومن ثم مع ظهور الكتائب الإسلامية، وجبهة النصرة، وأخيراً ''داعش''، وانقسم مؤيدو الثورة.

حُكي الكثير عن جشع الإسلاميين، وانتهازيتهم، وارتباطاتهم الخارجية، وعن حرف السلاح لمسار الثورة، لكن لم يتعرض أحدٌ لتخاذل العلمانيين، وتراجعهم، وهروبهم، ذلك أن تحول الثورة ضد النظام إلى السلاح، وهو ما يُفترض أنه كان معروفاً، وواضحاً منذ البداية، كان يلزمه شجاعة، وجرأة لم توجد لدى العلمانيين للانخراط في العمل المسلح، فلا تعني العلمانية بأي حالٍ تحول التنظيمات، والحركات السياسية إلى جماعات ل''السلام الأخضر''، أو للعمل الإغاثي، والإعلامي، والسياسي فقط.

''ليس ينبغي الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة''، هكذا تقول القاعدة الفقهية، التي لم يلتزم بها العلمانيون، فأشعلوا ثورةً ضد نظامٍ مسلحٍ، ثم تخلوا عنها عندما اضطر الثوار المضطهدون لحمل السلاح.

وجاءت الحرب، وحضر الجميع بأسلحتهم، ليَسْأل الناس: أين العلمانيون؟

آه، إنهم في الخارج، في البارات، والمقاهي، يمتشقون في أوقات فراغهم كاميراتهم، ولوحات التحكم، ليحللوا، وينتقدوا، ويسخروا

بتعالٍ، وتطرفٍ، ونخبويةٍ من واقعٍ جديدٍ ليسوا جزءاً منه، ولا يساهمون في صياغته، وتشكيله.
الإصرار على انتهاج عملٍ سياسيٍ في أجواء لاسياسية، هو خطأٌ قاتلٌ كان على العلمانيين تجنبه، ومنذ اللحظة التي اتخذوا فيها قرارهم بالبقاء على الحياد، عن قتالٍ شرعيٍ وعادلٍ، ستلتصق بهم نعوتٌ لها أساسٌ واقعيٌ، منها الجبن، والهروب، والانتهازية، وصارت استجاباتهم متأخرة، ولاواقعية، تشابه استجابات الشخصيات، والأحزاب التقليدية المنضوية في "هيئة التنسيق"، وأصبح الكثير من الناشطين، والكيانات العلمانية تتخذ مواقفاً وصائياً تجاه الثورة، والمنتفضين، رغم وجودهم خارج البلاد، واقتصار نشاطهم على حضور المؤتمرات، والظهورات الإعلامية، والعمل في المنظمات، مقابل دولاراتٍ كثيرةٍ، أو قليلةٍ، ودونما عظيم اعتبارٍ للمبادئ، والقيم، وبدون تضحياتٍ، فيما وعظهم، وتنظيرهم الفيسبوكي، وإن عُنون بحرية إبداء الرأي، فهو ينال من مشاعر، ومعتقدات الكثير من الباحثين عن ملجئٍ، أو خلاصٍ روحي في هذه الظروف، فالكثير من العلمانيين بسلوكهم المنفر، والمفتقد للذوق، وبكتاباتهم السطحية، والسخيفة، والمهينة، لا يقلون قدامةً، وشعبويةً، وعنصريةً عن خصومهم، خصوصاً حين ينشغلون بنبش قصصٍ، وأحداثٍ تاريخيةٍ ميتةٍ، أو حينما ينبرون لمواجهة التطرف الديني المادي، بكتاباتٍ حالمةٍ عن المثلية، والشذوذ..!
يغرقون في الماضي، أو يلتزمون ما لا يلزم، فيما ينسى عقلهم الاهتمام بالحاضر الملتهب، والتنبه للمستقبل القادم.
لا يقارن نضال، وتضحيات العلمانيين السوريين، بنضال "جورج حبش"، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مثلاً، فبذل الدم لا يعادله أية تضحيةٍ أخرى مهما بلغت، و"الآخرون" لا يتوانون عن بذله، فيما يستمر عديد العلمانيين بالتمني أن يضرب الله الظالمين، بالظالمين..!
أنوه أخيراً أنني أكتب من موقع علماني، يعمل مع كتيبةٍ إسلاميةٍ، تربطه بقادتها، ومقاتليها، وشهداءها، أخوةٌ، وعملٌ، يسمح له بإبداء كل ما يؤمن به من آراء، ومواقف، ويلزمه بالدفاع عما يراه حقاً أنى كان.

توسل الرضا من أهل الغضب

محمد المزرعاني

خمسة قرون من الزمن، ونظام الأسد يتمدد عبر شراييننا وأوردتنا ويمتلك هاماتنا من جبال وتلال وسفوح وأماكن ذات استراتيجية وحساسية. بنى المساكن والمعسكرات وأقام المنشآت الوهمية في الأماكن العالية، واقتطع من الأراضي ليساهم في فقر أصحابها وقلة حيلتهم وذلك بعدم الاستفادة منها وتفوقه في القدرات عليهم وذلك كله من خلال الاستملاكات ووضع اليد بالقوة، وفي الأماكن التي استحال عليهم الاستملاك ووضع اليد، أخذوا ينشرون أموالهم المسروقة من الدولة والشعب ونفوذهم المستمد من مؤسسات الدولة المختلفة وخاصة الأمنية وأعوانهم من الطامعين وأصحاب النفوس المريضة، وذلك لشراء العقارات الحساسة من الأراضي ومحاضر وشقق ومحلات تجارية إلخ، وما إن تفجرت الثورة السورية المجيدة حتى استطاع الثوار بالتعاون مع الشرفاء من الحاضنة الشعبية استرداد بعض هذه الأموال والعقارات وهنا ظهرت لنا شريحة من المجتمع ممن يطلبون الرضا من أهل الغضب فبدؤوا يتوسلون الرضا من أعوان النظام تحت شعارات مختلفة " تآخي... تواصل... التهدئة... المصالحة... مداراة السفهاء...إلخ" فنصبّوا أنفسهم أولياء على أموال وخدمات وحاجيات العصابة الأسدية. فأخذوا بحمايتها وتأجيرها وبيعها وإرسال ريعها وأرباحها لهم.
ناهيك عن الدفاع عنهم بمقولة: (أصابعك ليست مثل بعضها)، وعلى أساس أن أصحاب هذه الأموال أناس محترمون وأفاضل فأين كان هؤلاء المحترمون والأفاضل حين دخل أهلهم وأولادهم علينا وقتلوا وحرقوا أهلنا وأولادنا ودورنا؟. كانوا هم يحتفلون وزوجاتهم يزغردن ويحمسن. وكلهم تماسكوا وتعاونوا على قتلنا وتدميرنا وتشريدنا وهزيمتنا ولم ندرِ من أين أتوا بكل هذا الحقد والكراهية، وحينما لم يستطيعوا فعل كل ما بحقدهم، ورؤوا منا من الإقدام والشجاعة والقدرة، أخذوا ببعض التودد والمسكنة وبدؤوا بحسابات خط الرجعة، وأغروا بعض ضعاف النفوس وحولوهم إلى خدمٍ وسائقين ووكلاء عنهم بين جنباتنا. فالحرص الحرص والحذر الحذر فأول الرقصة حنجلة.
ففي تمدد هؤلاء تدمير لنا والمساعدة على هزيمتنا واختراقنا. فالوعي الوعي، والعمل على إبطال مخططاتهم، ولو اضطر الأمر للضرب على أيدي المتعاملين والمتعاونين. فمن له حقٌ علينا فليأتنا من الباب لا من أنابيب المجاري.
ونحن أصحاب الحق ونحن أهله وأهل نشره.

خطوط ثورية حمراء
من شروط الرؤية المشتركة وعمل ثوري هادف

نبيل شبيب

بعد زهاء أربعة أعوام على اندلاع الثورة الشعبية في سورية، وبعد كل ما شهدته من بطولات وأخطاء ومن تضحيات وانحرافات ومن إنجازات وانتكاسات تتواتر الأصوات الداعية إلى ضرورة تثبيت رؤية ثورية مشتركة، "سياسية واستراتيجية ومستقبلية"، مع تعدد أشكال التعبير عن الإحساس بضرورة هذه الخطوة، والتي تقترن بأصوات أخرى تتقن نشر الإحباط، وتجد ما يكفي من المادة المناسبة لذلك، في واقع مسار الثورة وما يصنع إقليميا ودوليا ضدها وضد سواها من الثورات الشعبية العربية.

ولئن أردنا استخلاص درس حاسم من مسار الثورة حتي الآن، فهو استحالة الوصول إلى رؤية مشتركة قبل تحديد "الخطوط الثورية الحمراء"، فانتهاك كثير من المحرمات الثورية والوطنية والسياسية وحتى الإنسانية المحضة، يجعل "التوافق" على ما يجب التوافق عليه من قواسم مشتركة مستحيلا، دون التوافق على ما "لا يجوز صنعه" بحق الثورة والشعب والوطن...

على سبيل المثال.. كيف يتوافق (١) **من يرى "الاستبداد" نهجا يمارسه في قيادته لفصيل من الفصائل ويطرحه ليكون في صلب رؤيته لمستقبل البلاد والعباد، باسم راية من الرايات يرفعها**، مع (٢) **من يرى أن الثورة إنما انطلقت لتقويض الاستبداد بجميع أشكاله ومداخله ومخارجه وتعليلاته وذرائعه.**

على سبيل المثال.. كيف يتوافق (١) من يرى "الحرية" في وطن مشترك بين جميع مكونات شعبه، أو بين أصحاب اتجاه إسلامي وأصحاب اتجاهات أخرى، "حرية مقيدة" باتجاهه الإسلامي وعبر إقصاء سواه، مع كل ما يعنيه ذلك تشريعا وسياسة وممارسة، مع (٢) من يرى "الحرية" في ذات هذا الوطن، مقيدة باتجاهه العلماني، وعبر إقصاء سواه، مع كل ما يعنيه ذلك تشريعا وسياسة وممارسة.

إن صياغة الخطوط الثورية الحمراء في سورية، لا تحتاج إلى جهد كبير الآن بعد أن عايشنا مباشرة كيف كان تأثير غيابها وبالتالي انتهاك ما تقتضيه، وعايشنا حصيلة ذلك على حساب مسار الثورة ومعاناة الشعب وواقع الوطن، إنما لا بد من تثبيت صياغة واضحة لها، وتعميمها، وتأكيد الالتزام بها شرطا ضروريا، بل موضوعيا لا غنى عنه، من أجل المشاركة في التوافق على صياغة رؤية ثورية، من شأنها أن تعزز مسار الثورة نحو أهدافها، وتخفف من معاناة الشعب الذي يحضنها، وترسخ دعائم ما يجب صنعه الآن من أجل مستقبل الوطن.

ويمكن هنا ذكر بعض العناوين العريضة للمقصود بالخطوط الثورية الحمراء، أو "المحرمات الثورية الكبرى"، مما لا ينبغي الاختلاف حوله وحول اعتباره العنصر الحاسم بين سلامة الانتساب للثورة وواقع الإضرار بها. من ذلك مثلا:

١- كل اقتتال بين الثوار محرم.. فلا قتال إلا ضد بقايا النظام الهمجي والميليشيات المستوردة، ومن يبدأ بارتكاب جريمة رفع السلاح ضد الثوار أو الشعب.

٢- كل تمييز بين السوريين محظور.. فالمستهدف بالثورة هو أخطبوط الاستبداد ومن يشارك مشاركة مباشرة في جرائمه أيا كان انتماؤه وأيا كانت ذرائعه.

٣- كل وصاية على إرادة الشعب باطلة.. فلا أحد يقرر مسبقا مستقبل الوطن والدولة والمجتمع ولا أحد يتجاوز حدود التمهيد الثوري لتمكين الشعب من التعبير عن إرادته في جميع ذلك جملة وتفصيلا.

٤- كل ارتباط أجنبي على حساب الوطني خيانة.. فالثورة والشعب والوطن لا مساومة حولها سواء بذريعة سياسية أو تمويلية أو سواها.

٥- كل حرمان لمواطن أو هدر لحقوقه جريمة.. والجرائم تثبت مع العقوبات عليها عبر السبل القضائية التخصصية القويمة المستقلة عن القوى السياسية والعسكرية والتنظيمية لمسار الثورة.

٦- كل قيادة فردية أو قيادة لا تخضع للمحاسبة المؤسساتية فاسدة.. فمسار الثورة لم يعد يحتمل أساليب أخرى ربما وجد عذر لها في مطلع مسار الثورة، وثبت أنها سبب ضرر كبير به.

٧- كل عمل سياسي أو عسكري أو مدني دون كفاءة وتخطيط وشفافية ومحاسبة وتطوير هو عمل مضاد للثورة.. ولا يستثنى من ذلك أي طرف أو فرد ولا يؤخذ بذريعة حالات استثنائية أشبه في مفعولها بحالات "الطوارئ" الاستبدادية.

يوجد المزيد من الخطوط الثورية الحمراء بطبيعة الحال، وتوجد أسباب لا حصر لها لتأكيد ضرورة التوصل إلى تثبيتها وتعميمها، بل واعتبار الالتزام العملي بها من شروط الانتساب للثورة، وبالتالي المشاركة في صياغة الرؤية المشتركة الواجبة، التي تدعو إليها أطراف عديدة، تحت عناوين مختلفة، وحصيلتها واحدة، من شأنها أن تجيب على السؤال الحائر على كثير من الألسنة وفي قلوب معظم أهلنا في هذا الوطن: ماذا نفعل؟..

الكهرباء ماذا تخفي وراءها؟

مجدداً يحاول النظام وضع موطئ قدمٍ له في المدينة من خلال استخدم ورقة زرعها تحت اسم "لجان مصالحة"، يأتي هذا الكلام في سياق الحملة التي تحاول إحدى أدوات الإعلام المؤيدة بث سمومها والقيام بدور الدعائي "لشيوخ المصالحة".

يذكر أن هذه اللجان في البداية عملت كجهةٍ وسيطةٍ بين طرفين "متناحرين"، تحول مع الأيام هذا "الوسيط" إلى ممثل وواجهة تعد اليوم أداةً للنظام وسلماً يستخدمها لإثبات تواجده وبسط هيمنته على المدينة.

ما يؤكد هذا الكلام الرسالة الموجهة إلى رئيس لجنة المصالحة في المدينة والتي جاء فيها: ((أنتم اليوم وحدكم من تمثلون هذه المدينة الطيبة وأهلها وساكنوها، ولذلك نطالبكم أن تتفضلوا علينا بتشكيل وفد من وجهاء البلدة يمثل كل الشرائح المجتمعية وزيارة السيد وزير الكهرباء عماد خميس وشرح وضع الكهرباء الرديء في مدينتنا خاصة)).

أما الكذبة فنضعها بالنص ونترك للعقول السليمة الحكم: ((المجموعات المسلحة سرقت عنفتين باستطاعة 2 ميغا تقوم بتشغيلهما في أوقات معينة يتوجب عليهم إعادتهما إلى وزارة الكهرباء ودفع المبالغ المالية المترتبة لوزارة الكهرباء في قدسيا وبعدها ستتساوى قدسيا والمناطق الريفية بساعات التقنين .

المصدر : قبل إعادة العنفتين لا حديث عن كهرباء كالمناطق المجاورة)).

عودة ساعات التقنين الطويلة في دمشق وريفها، وعودة الإعلام الموالي للنفخ في بوق الفتنة، يذكر أن فترة التحسن في قدسيا لم تتجاوز الشهر، واقتصرت على ساعات النهار، ظاهرة التمييز من حيث ساعات التقنين بين المناطق تزداد وضوحاً، مشيرين إلى أن هذا التمييز يشمل أيضاً سكان الحي الواحد أو المنطقة الواحد، فهناك أحياء تحرم من الكهرباء بشكل مستمر ولساعات طويلة، في حين أن مناطق أخرى يتم تجاهلها من تطبيق التقنين لاعتبارات معينة بالنسبة للنظام.

ولعل ارتفاع ساعات التقنين، إنما قابله تشديد وزارة الكهرباء على جباية فواتير الكهرباء والتهديد بقطع التيار عن كل من لم يسدد التزاماته المالية لحكومة النظام، وفي هذا الإطار تصاعدت فيه أصوات المواطنين المطالبة بتخفيف التقنين قبل البدء بالجباية، خاصة أن الفواتير تأتي مرتفعة ولا تتناسب مع ساعات القطع الطويلة التي يعيشها السكان مرغمين.

أما بالنسبة لأزمة وزارة الكهرباء، فإنها تتلخص بنقص الوقود اللازم لتشغيل المحركات المشغلة للطاقة، حيث اعترفت الوزارة مراراً بأنها تعاني من أزمة وقود، وهو ما يجعل أزمتها جزءا من مأزق عام يعيشه النظام في تأمين الوقود اللازم للكهرباء والنقل والتدفئة، حيث يشير مراقبون اقتصاديون إلى أن هذه الأزمة في تفاقم خاصة مع خسارة النظام لمعظم آبار النفط السورية في الشمال السوري، حيث لا بصيص أمل أمام النظام للخروج من هذا المأزق، خاصة بعد أن وصلت خسائر قطاع الطاقة وحسب تقديرات دولية إلى 12 مليار دولار أميركي، وتراجع إنتاج النفط من 385 ألف برميل يومياً منذ ثلاث سنوات إلى أقل من 12 ألف برميل.

إذا كان المواطن السوري متضرر من طول فترة الأزمة التي وقع بها النظام فمن الضروري عند إدارتها أن تلقى بكليتها على عاتق هذا المواطن بغض النظر ما إن كان موالٍ أو معارض، فالمهم أن يستخدم ورقة ضغط على الثوار.

قبل الثورة كانت تحمل فواتير الكهرباء بالنسبة لمناطق المخالفات على المناطق المجاورة وعلى سبيل المثال "حي الورود"، ومع توقف الكثيرين من سداد قيمة الفواتير وتراكم الخسائر بات من الضرورة إيجاد بديل تمويلي يغطي هذه الكلفة.

بكل الأحوال المستفيد من انقطاع الكهرباء لساعات طويلة عن مناطق بعينها يشكل مكسب بالنسبة للجهات الموالية.

الفطور سلّة بعلامة اليونسكو والثياب بقايا الغير والأضواء تلاحق... طفلاً سورياً

ل.ن

لاحق الكاميرا بعينين ذاهلتين، وعلى وجهه ابتسامة من عثر على كنز، لكنه سرعان ما استدار، باحثاً عن زاويةٍ ما للاختباء، وحين خانته سرعته، كانت الكاميرا والمكريفون قبالته، سألته المذيعة عن اسمه وعنوانه، والأصح مركز الإيواء، الذي بات بيتاً له، بعد أن تـرك ببيلا مـع أسرته منذ عامين تقريباً.

حوارٌ سريع، أجرته تلك القناة مع طفلٍ نازح، تبعاً للتوصيف المتبع، ربما لم يلحظه أحدٌ على الشاشة، لكنها دقائق لن ينساها أحمد أبداً، ربما تمنى لو كان بنطاله طويلاً بما يكفي، كما بقية الأطفال، قبل أن يكون موضوعاً تلفزيونياً، لكن من أين له ببنطال أو حتى حذاء في هذه الظروف، لذا كانت (الشحاطة) الخيار الأول والأخير.

طيلة تلك الفعالية، لم يعرني انتباهاً، لكنه أثار انتباهي، بين الأطفال القادمين من مراكز إيواء في دمشق، لتعليمهم شيئاً من الموسيقا والرسم والأشغال، ولم يكن الطفل الوحيد ذو المظهر الكئيب، لكنه كان الأكثر خجلاً، ربما لأن سنواته الـ 12 كافية ليستوعب ما يجري.

انتهت الفعالية، وتلاشى ضجيج الصحفيين، وعاد كل شيءٍ إلى ما كان عليه، قبل ساعتين، وعلت أصوات المشرفين بأسماء الأطفال، تجمعوا وانطلقوا عائدين.

مظاهر لا أكثر، كل ما قدمه النظام لأطفالنا، بل لأجيالٍ من السوريين، في الفعاليات التي تستهدف الأطفال وفي غيرها، حتى غدت سورية، أبعد ما يمكن عن أشكال البحث العلمي بمعناها الحقيقي، ناهيك عن غياب الكثير من السلوكيات والمظاهر الحضارية، التي تتمتع بها معظم شعوب الأرض، أو يُفترض ذلك، وعلى السطح شاعت مفردات المعلوماتية والحداثة والتنمية والتطوير.

خجل الطفل النازح، ذكرني بخجلي، يوم تقدمت للتسجيل في دورةٍ للغة الانكليزية، واكتشفت لاحقاً، حجم الكارثة، التي نعيشها، تحديداً حملة الشهادات الجامعية، وتتالت اكتشافاتي، مع اندلاع الثورة، فالواقع السوري مخجلٌ حقيقةً، أكاديمياً واقتصادياً، بالطبع سياسياً، ولا نهاية معروفة للقائمة، أما الطفل السوري، فالحديث عنه يطول ويتشعب، وتكثر فيه التفاصيل والغايات، بالطبع لا يمكن نكران كل من عمل ويعمل بنبلٍ وصدقٍ لأجل أبنائنا.

بالعودة إلى البداية، نشاطاتٌ كثيرة، تتالت تحت عناوين مختلفة، تستهدف الأطفال، ضحايا ما يحدث، استطاعت أن ترسم الابتسامة على وجوههم، لكنها ضاعفت ألمهم وبؤسهم، فهم لم يكونوا يوماً موضع اهتمامٍ أو انتباهٍ إلى أن باتوا على هامش التشرد، هكذا غدا البيت مدرسةً أو جامعاً أو مركزاً للإيواء، الفطور كما الغداء سلّة بعلامة اليونسكو والهلال الأحمر، والثياب بقايا تفضل بها الغير، أو رماها في شارعٍ ما، لا مكان لمرآة، ولا بابٌ بمفتاح، وفي عيون الآخر شيءٌ من الشفقة، وكثيرٌ من القرف.

لكنهم حتى في تشردهم، أطفالنا، رسموا وغنوا، ابتسموا للكاميرا، ربما وجدوا في حياتهم الجديدة، ما لم نجده نحن، عرفوا كيف تصنع الخيمة ومركز الإيواء، نجوماً وأقماراً، لونوها، على أمل، أن القادم نصنعه بأيدينا.

كاريكاتير العدد

فريق QMT قدسيا الإعلامي